فن الديكور المسرحي

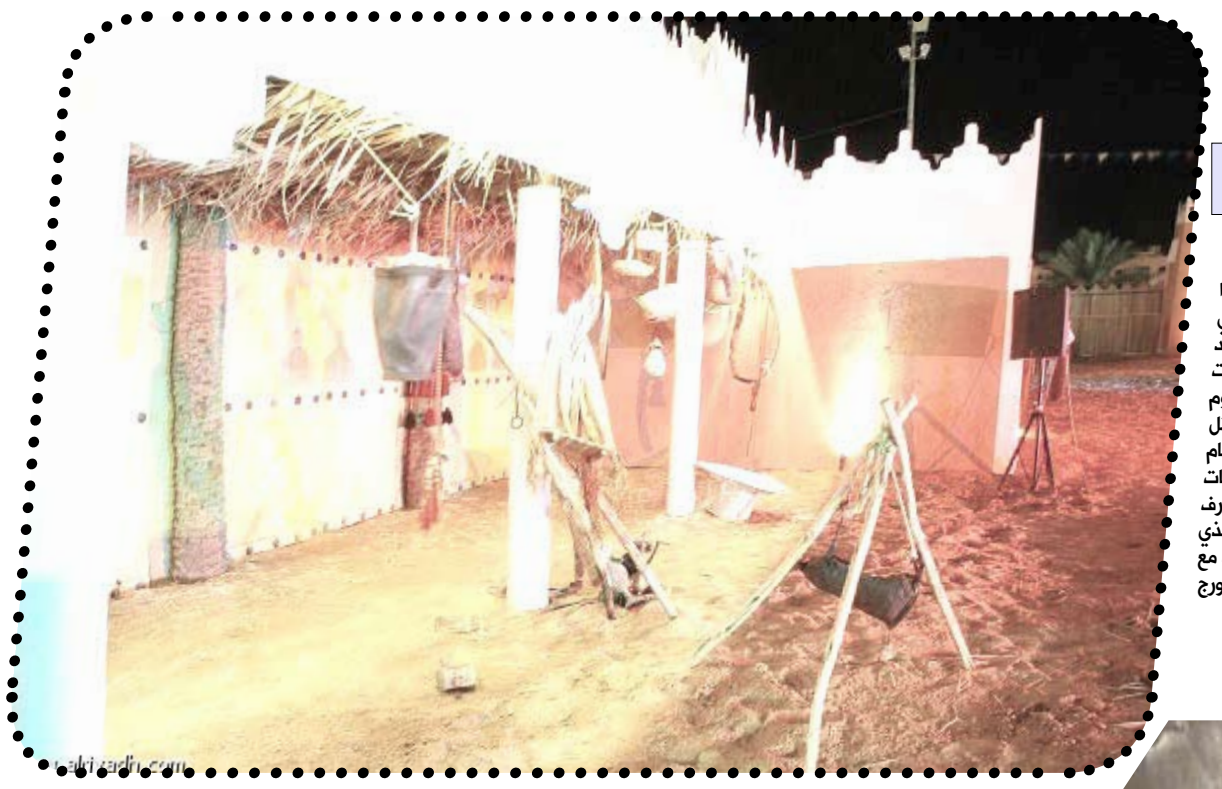

يعد الديكور المسرحي واحدا من أهم العناصر المرئية على خشبة المسرح إذ أن ذلك العنصر يقوم بتشكيل الموجودات على خشبة المسرح من أثاث أو مناظر أو ما إلى ذلك من كل عناصر التشكيل البصري للكتل الموجودة على خشبة المسرح، فالديكور المسرحي في أبسط تعريف له هو كيفية التشكيل والتوزيع للكتل على الخشبة المقام عليها العرض المسرحي وتلك الرؤية لذلك التوزيع لا تكون في المطلق ولكن تتحكم فيها الحتمية الدرامية لوجود كتل بعينها.

إعداد/ هبة طه الصوفي

لذا نجد أن فن الديكور المسرحي فن قائم على أسس علمية ودراسات منهجية إذ يمثل علما مستقلا بذاته نابعا من تعدد مجالات الفنون المشتركة في إنتاج العرض المسرحي كما يرتبط عنصر الديكور المسرحي بشكل مباشر مع عنصر الإضاءة وذلك لأن العنصرين يكون على كاهلهما الجانب الأكبر من التشكيل البصري للفراغ المسرحي على خشبة المسرح إلى جانب باقي العناصر البصرية الأخرى. من تلك المقدمة الموجزة عن الديكور المسرحي سنتعرف على الديكور المسرحي ثم ننتقل إلى المذاهب الفنية في الديكور المسرحي ونتعرف على أهمها.

1 - تأصلت كلمة (ديكور) في القاموس المسرحي الشفاهي في العالم العربي، وهي كلمة فرنسية المصدر ولكنها لآتينية الأصل decor. ومن الأفضل تعريبها لأن هناك أقساما في بعض المعاهد الفنية للديكورات الداخلية، والديكورات المسرحية، ولأن كلمة (منظر) العربية متخمة بكثرة الدلالات الدرامية والمسرحية. والمقصود بالديكور المسرحي : القطع المصنوعة من أطر الخشب والقماش أونحوهما، والمقامة في الغالب فوق المسرح لكي تعطي شكلا لمنظر واقعي أو خيالي أو كليهما معا، على أن ترتبط إيحاءات هذا المنظر بمدلولات المسرحية المعروضة، ولهذا فإن الديكور المسرحي ليس فنا منفردا بذاته ولكنه فن يتعايش مسرحيا مع الفنون الأخرى كالموسيقى والتصوير والإضاءة والتمثيل لخدمة النص المسرحي والمساعدة في تأدية مضامينه.

2 - ويعد الشاعر والأديب اليونانى (سوفوكليس) أول من أدخل المنظر المسرحي المرسوم إلى المسرح اليوناني.

ولا شك في أن الديكور المسرحي آنذاك لم يكن كالشكل المألوف لنا الآن ولكنه كان بسيطا للغاية ويرمي إلى مكانية الأحداث فقط ولا علاقة له بالطقس الدرامي أو نفسية الشخصيات.

3 - أما المسرح الروماني فقد عرف ثلاثة أنواع للديكورات كانت ثابتة الشكل تقريبا:

أ- منظر شارع به منازل للمسرحيات المأساوية.

ب- منظر شارع به منازل خاصة للملاهي.

ج- منظر ريفي للهزليات.

4 - أما المنظر المسرحي في تمثيليات العصور الوسطى فكان يتمثل في جانب من الكنيسة.

5 - أما التطور الحقيقي للديكور المسرحي كما نفهمه الآن، فقد حدث لأول مرة في إيطاليا في عصر النهضة فقد ظهر مصورون أكفاء عهد إليهم الأمراء الايطاليون برسم مناظر خارجية من الناحية المنظورية.

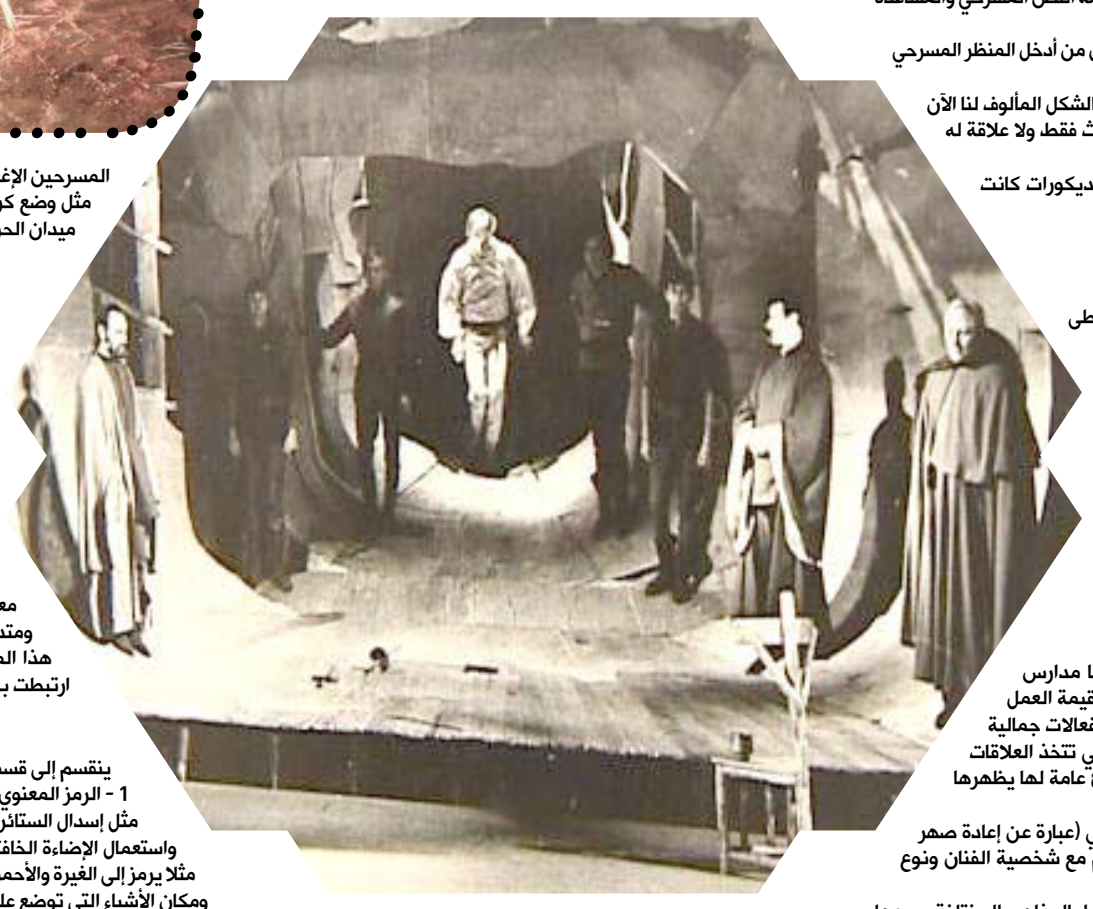

المذاهب الفنية المختلفة وعلاقتها بالديكور المسرحي

عندما نتكلم عن المذاهب الفنية فإننا نعني بها مدارس الديكور المتعددة بجميع اتجاهاتها التي تؤمن أن قيمة العمل الفني لا تقاس بموضوعه وإنما بما تستثيره من انفعالات جمالية تحقق الرضا النفسي بما تحمله من معنى فني، وهي تتخذ العلاقات اللونية وتناسب السطوح والتوافق والإيقاع كمبادئ عامة لها يظهرها الفنان في تصميماته المختلفة.

إن عملية (الابتكار الفني) في المدرسة الحديثة هي (عبارة عن إعادة صهر الأشكال وصياغتها من جديد بالصورة التي تتلاءم مع شخصية الفنان ونوع الحضارة التي يمارسها).

إذا نظرنا إلى المسرح في وقتنا الحاضر نجده يستعمل المذاهب المختلفة جميعها في تقديم العروض المسرحية وتنقسم المذاهب المسرحية إلى مرحلتين مذاهب قديمة ومذاهب حديثة.

أولا: المذاهب القديمة

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- المذهب الديني :

ظهر في العصر الفرعوني وأوائل العصر الإغريقي ثم ظهر في العصور الوسطى ويعتمد على التعاليم والطقوس الدينية.

ب- المذهب الكلاسيكي:

ظهر في العصر الإغريقي ويعتمد على المبالغة والمغالاة، ويهتم بالوحدات الثلاث (المكان ، الزمان، الموضوع).

ج- المذهب الكلاسيكي الحديث:

ظهر في عصر النهضة ويعتمد على المذهب الكلاسيكي مع التطوير والتجديد اللذين ظهر في عصر النهضة.

ثانيا: المذاهب الحديثة

ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر واستمرت حتى عصرنا هذا، وهي دائمة التحول لا تسير بشكل واحد أو تدور حول نقطة معينة وإنما تتميز بقابليتها للتطور والتغير في التقاليد واستجابتها للتقدم العلمي والصناعي ومحاولة كشف عالم الغيب ما ساعد على بروز مدارس فنية متنوعة، نستنبط من ذلك أن العقلية الحديثة قد تشكلت بتأثير التطورات العلمية التي كانت نتيجة حتمية للحروب التي عانى منها الكثير، وللتعقيد الذي سببه عدم الاستقرار والثورات الاجتماعية والتيارات السياسية، وقد انعكس كل هذا بشكل واضح في محاولات وتجارب تعبر عن وجهات نظر جديدة وتسعى لكشف رؤى جديدة تحمل انطباعا ابتكاريا دون النظر للمنهج الأكاديمي، والقواعد والتقاليد الموروثة التي تؤكد قواعد المنظور والظل والنور والنسب الواقعية للأجسام ووصفها كما تظهر في الطبيعة لإبراز المعامل الموضوعي وهي المثاليات التي أتى بها عصر النهضة وسنتكلم في مايلي عن هذه المذاهب بالتفصيل.

المذهب الطبيعي «naturalism»

ظهر هذا المذهب في أواخر القرن التاسع عشر وقدم الواقع الملموس كما هو على خشبة المسرح بجماله وقبحه بدون تغيير أو تبديل لذلك ظهر هذا المذهب قويا مستمدا من الواقع المحيط بنا موضحا ضرورة التصوير الطبيعي للديكور والأثاث بما يتفق والطبيعة كذلك اعتنوا بالملابس وتاريخها الصحيح ومطابقتها تماما لما هو كائن في الحياة .

الديكور

استبدل هذا المذهب مناظر الغرف الخفيفة الجدران بحوائط صلبة متينة لتمكن الممثل من أن يقع أو يستند عليها دون أن يخشى اهتزازها كما رأى رجال هذا المذهب أن تظهر على المسرح كل الأدوات الحقيقية من مناظر وإكسسوار وبذلك تم استبدال الأشياء المرسومة أو الرمزية من الخشب مغطاة بالخيش الملون فأصبحت نماذج تتفق مع الواقع وأكثر متانة من ذي قبل مع استكمال كل التفاصيل الخاصة بها من مقابض ومفصلات حديدية وكوالين. ومن أشهر المسارح التي أنشئت لتقدم عليها المسرحيات الطبيعية المسرح الحر (theatre libre) الذي أنشأه في فرنسا هنري بك أندريه أنطوان عام 1887 ومسرح لندن المستقل (London independent theatre) الذي أنشأه في انجلترا توماس جرين ومسرح الفن بموسكو (Moscow art theatre) الذى أنشأه ستانيسلافيسكى وغيرها من المسارح الألمانية. ومن أشهر فناني هذا المذهب توماس روبرتسون(Thomas Robertson) الإنجليزي وأندريه أنطوان (andre Antoine) وجورج (george) الألمانيان.

المذهب الواقعي (realism)

ظهر المذهب الواقعي في أوائل القرن العشرين على اعتبار أن فن المسرح ما هو إلا فن إيضاح وذلك بجعل المناظر التي على المسرح مشابهة للواقع على قدر ما نستطيع وليست منقولة نقلا حرفيا مطابقا تماما لما هو كائن في الحياة كالمذهب الطبيعي وفي المذهب الواقعي نهتم بالتكوين وعمارة المنظر وعلاقات الخطوط والشكل واللون وذلك لتمثيل فكرة لها طابع متكامل بدلاً من مجرد تسجيل المظهر الخارجي للأشياء الطبيعية ومن الضروري أن نميز بين المذهب الطبيعي الذي ينقل فيه الواقع على المسرح نقلاً فوتوغرافيا وبين المذهب الواقعي الذي يختار ما يقدمه من الواقع بقصد إعطائه شكلا توضيحيا على المسرح.

الديكور

إن المسرح باعتباره فنا يجب أن يكون مبنيا على بعض التقاليد المعينة كالتي تبنى عليها جميع الأشياء الأخرى الفنية الجمالية؛ فإن تكامل الشكل النابع من قوة خيالنا يجب ألا يتمسك بالتفاصيل الدقيقة كأقفال الأبواب والمفصلات في المناظر الداخلية وفروع الأشجار وأوراقها في المناظر الخارجية على طريقة المذهب الطبيعي إذ أن كل شيء في الديكور يتطلب ضبطا فنيا لخلق الشعور الحقيقي بحيث يكون صادقا مقبولا على خشبة المسرح لذا فإن المسرحية الطبيعية الوحيدة التي لا نجدها إلا في المحادثات والمناقشات العامة التي تجرى بين الناس في حياتنا اليومية التي إذا تعود الجمهور عليها، سيرى المناظر المنقولة نقلاً حرفيا من الطبيعة ويفقد شعوره بالإحساس المسرحي.

لذلك أتجه هذا المذهب في أواخر القرن التاسع عشر نحو استبدال الأشياء الطبيعية بأخرى قريبة منها تصلح للعرض على المسرح. ومن أشهر فناني هذا المذهب ليون باكست (leon bakst) الرسام الروحي الذي اشتهرت أعماله بالألوان الزاهية والمحاولات الجريئة.

المذهب الرمزي (symbolism)

جاء هذا المذهبين كرد فعل للمذهب الواقعي والطبيعي اللذين كانا يهدفان إلى إظهار التفاصيل على المسرح وعلى ذلك فإن المذهب يدعو إلى استبعادها واستبدالها بأشياء أخرى رمزية . وإذا تعمقنا في دراسة المذاهب المختلفة نجد أن معظم الفنانين المسرحيين يستوحون إلهامهم وتجديداتهم من بعض المسارح القديمة ففي المسرحين الإغريقي والإليزابيثي استعملت الرموز على خشبة المسرح مثل وضع كرسي على أنه يرمز إلى قاعة العرش والخيمة ترمز إلى ميدان الحرب والشجرة ترمز إلى الغابة ..إلخ.

الديكور:

أصحاب هذه المدرسة يعتبرون الديكور الرمزي خادما لنص المسرحية بدرجة تكفل له الوصول إلى نفوس النظارة بالمعنى المقصود منه، لذلك فإن مهندس الديكور الرمزي لا يعتبر فنانا إلا إذا صدر أنتاجه عن فهم وعمق وفن ودراسة للمدرسة الأكاديمية ليكتسب منها أسس تكوينه المعماري. إن محاكاة الأوضاع الطبيعية شيء مهم عند تمثيل الأشياء تمثيلا رمزيا لأن الرمز يعتمد على تلخيص المعنى الذي نحس به في المرئيات إما عن طريق ترجمته المباشرة للموضوعات بتنظيمات مجردة مركبة بعضها مع البعض- أو تكوين أشكال معينة على مساحة مسطحة بينها علاقات إيقاعية متوافقة ومتدرجة لإخراج علاقات شكلية في اتجاهات مختلفة واتجه هذا المذهب إلى تخليص الديكور من التقاليد الآلية التي ارتبطت به كالماكينة الفوتوغرافية.

والمذهب الرمزي

ينقسم إلى قسمين:

1 - الرمز المعنوي:

مثل إسدال الستائر الفسيحة لترمز إلى الرهبة والفخامة والعظمة والجلال واستعمال الإضاءة الخافتة والظلال لترمز إلى الحالات النفسية فالضوء الأصفر مثلا يرمز إلى الغيرة والأحمر يرمز إلى الشر والدم..إلخ كما أن الظلال توضح الشكل ومكان الأشياء التي توضع على المسرح.

2 - الرمز المادي:

مثل وضع شجرة ترمز إلى الغابة أو شباك ليرمز إلى المنزل او سلم ليرمز للدور العلوي أو جمجمة لترمز إلى الموت..إلخ. كما استعمل نظام المستويات المختلفة على أرضية خشبة المسرح ليتنقل عليها الممثلون فيسهل بذلك نقل الأثر إلى المتفرجين.

ومن أشهر فناني هذا المذهب جوردن كريج (gorden graig) المهندس المسرحي الانجليزي وهو أول من نادى بالمذهب الرمزي الذي استعمله في تصميماته وأعماله بكثرة.

المذهب السريالي (surrealism)

ظهرت النزعة السريالية في فترة ما بين الحربين العالميتين الأخيرتين فاصطبغت بحرارة الحرب وسخرت من الجدية والفكرية واتخذت الأفكار الخيالية والشخصيات المضحكة والمناظر المخيفة نبراسا لها، بعد أن اقتلعتها من أوضاعها الروتينية المألوفة ووضعتها في قوالب أخرى غير مألوفة لم ترها العين من قبل إلا في الأحلام. لذلك ابتعد هذا المذهب عن التصوير الحقيقي للأشياء واتخذ العقل الباطن أو اللاشعور كمصدر إيحاء له فأظهر بذلك ما ينطوي عليه الكيان المخفي للشخص في عقله الباطن، وساعد على التنفيس عن مكبوتات اللاشعور وإيقاظ ما تتميز به طفولتنا من خيال، وهو مذهب ضد الواقع الحي الذي نلمسه في حياتنا اليومية.

الديكور

بظهور هذا المذهب بدأت روح جديدة في إحياء المناظر المبسطة بدلا من المناظر التفصيلية المتخذة من واقع الحياة، وهى مناظر خلقت عالما جديدا من المتعة وغيرت المنطق الوصفي للأشياء وأصبحت الأحلام هي الرؤية المتحركة لا لإظهار الواقع بل إلى ما وراء الواقع. والمناظر في هذا المذهب تتميز بألوان كثيرة تعتمد على الإيقاع والتكوين وذلك باستخدام الرسم الحديث بحرية مطلقة لتكوين الكثير من المناظر المسرحية جاعلين الديكور في حالة حركة عن طريق تشكيل الخطوط والألوان بطريقة زخرفية تعبر عن التشكيلات الجمالية وكانت هذه النزعة مرآة للقلق والتوتر الذي يسود مجتمعنا، كما كان هذا المذهب بعيدا كل البعد عن الصدق البصري مؤكدا الانفعال التراجيدي وكان اهتمام مصممي الديكور منصبا على ما تحدثه المناظر في نفوس المتفرجين من إحساسات مترجمين بذلك العالم الداخلي للاشعور. ومن أشهر فناني هذا المذهب الكسندر تيرون (alexandre tyron) والكسندر اكستير (alexandre exter) و استروفسكي (astrovsky).

المذهب التجريدي (abstract)

اتجه فنانو هذا المذهب اتجاها تركيبيا جديدا تستخدم فيه خطوط خارجية مبسطة، ومساحات جميلة ومنسقة وذلك بقصد إظهار قيمة المظهر البسيط الذي تبدو عليه الأشياء ولكن بطريقة مبتدعة جميلة وهذه العملية التجريدية التي تسهل علينا فهم صفات الأشياء ولكنها يغلب عليها الجانب الفكري والحسي وتمتاز بتنمية الأشياء الصحيحة وإبرازها وتسجيلها في علاقات فنية في الخطوط والأشكال التي تحمل صفات المرئي والتي تزداد صلتها بالمعنى المستتر وراء المرئي ولذلك يجب على الفنان التجريدي أن يعرف كيف ينقل ثم يعرف كيف يلخص ويبسط ثم يختار ويؤكد. وعملية الخلق الفني هذه تنتهي إلى تغيير وتطوير بعد عملية التفاعل والاندماج من قبل الفنان ولذلك فهي في بعض الأحيان تبتعد عن الأصل وتأخذ كيانا خاصا بها.

الديكور

بسبب المنافسة الشديدة التي ظهرت بين المسرح والسينما والتي خرجت فيها السينما منتصرة انتصارا باهرا في محيط الواقعية نظرا لإمكانياتها الواسعة اتجه المسرح لتبسيط المناظر وتشكيل أرضيته إلى مستويات مختلفة تصلح كأماكن للتمثيل.

ومن أشهر فناني هذا المذهب ترنس جراي (terence gray) اورسون ويلز(orson welles) و ثورنتون ويلدر (thornton wilder) روبرت ادموند جونس (Robert Edmond jones) ومن أهم المسارح التي بنيت لهذا المذهب مسرح تريد يونيون (trades unicnes theatre) ومسرح كمبردج (festival theatre et Ca-bridge) ومسارح أخرى.

المذهب الرومانسي (romanticism)

في أواخر القرن الثامن عشر حلت بالمسرح روح جديدة مقرونة بظهور الحركة الرومانسية في الأدب فأخذ المهتمون بالمسرح يبحثون عن أسس الفن المسرحي في الحياة الواقعية بعيدا عن الفنون التقليدية الكلاسيكية وتعتمد نظرتهم أساسا على مهاجمة قانون الوحدات الثلاث والأسس التي سادت لفترة طويلة من الزمن، أما المذهب الرومانسي فهو مذهب الانطلاق مذهب الحب والعاطفة التي تحرك الأحياء جميعا وتتلاعب بهم وتوجههم وتستبدبهم أشد مما يستبدبهم في المسرحية الكلاسيكية. ولقد تميزت الرومانسية بثلاثة اتجاهات مختلفة :

1 - واقعية التاريخ realism of history

اتجه الرومانسيون الأولون إلى الماضي للعناية بالموضوعات التاريخية كما بالغوا في إظهار الحوادث والملابس والمناظر التاريخية على المسرح التي لم تقتصر على إظهار الواقع كما هو بل أضافوا إليه عناصر الجمال والفخامة والمبالغة والخيال.

2 - واقعية الطبيعة realism of nature

اهتم الرومانسيون الطبيعيون بإظهار كل ما هو جميل حولهم في وصف الطبيعة وجمالها ورونقها وذلك حسب نظرتهم إلى الأشياء الجميلة واهتمامهم بها مثل الأزهار والسماء والموضوعات الشاعرية الحالمة أي أخذت أعمالها من الناحية الجميلة في الحياة.

3 - واقعية الطبيعة البرية realism of wild nature

اعتنت تلك الحركة بالتحرر من كل التقاليد الكلاسيكية وقد بالغ أصحاب الرومانسية المكتئبة في وصف البؤس والكآبة في الحياة الإنسانية مثل أكواخ العمال والأزقة والسماء الملبدة بالغيوم ..الخ. أي أن نظرتهم إلى الواقع كانت نظرة متشائمة عكس أصحاب النظرة الأولى من المتفائلين.

الديكور

قبل ظهور الحركة الرومانسية كانت جميع المناظر مكونة من أجنحة جانبية (الكواليس) وستارة خلفية (الفوندو) فعندما كانت تظهر غرفة على المسرح كانت تتكون حوائط الغرفة من اثنين أو ثلاثة من هذه الأجنحة الجانبية والفوندو الداخلي

بأنامل الفنانين التشكيليين ..

في فترة الأزمة .. ازدانت المعارض

محمد كليب أحمد

قيل كثيرا أن المعاناة تولد الإبداع .. وربما جاءت هذه المقولة نتيجة معاناة كم هائل من المبدعين – ومن مختلف نواحي الإبداع – منذ فترات طويلة مضت على مر السنوات في بقاع متعددة من المعمورة .. وليس في هذا الحيز المتواضع مجالا لاستعراض عدد من المبدعين الذين اجتازوا مراحل صعبة للغاية في حياتهم ، ورافقتهم انجازات عظيمة على مستوى حياتهم الشخصية أو لخدمة البشرية منذ الحقب والمراحل الزمنية الغابرة وحتى اليوم ..

ولا يستطيع احد منا تناسي الإنجازات العلمية الكبرى التي ظهرت منذ عصور خلت وكانت هي النتاج الحتمي لحاجة المجتمعات بشكل عام ، وما اختمرت تلك الأفكار في مخيلة مبدعيها إلا وكانت قبل ذلك عبارة عن حاجة ملحة يحلم بها الناس ويطمحون لتحقيقها ، فعمل النابغة والمجتهدين منهم على وضع خطوطها الأولية ليتوالى تطويرها وتنفيذها على الواقع كمعجزة زمنية لم يسبق لأحد القيام بها ..

فالمصباح الكهربائي مثلا كان نتاجا لجهود مضنية للبحث والعمل الدؤوب للخروج من معاناة الظلمة ، وقبل ذلك العجلات والعربات والتي أخذت في التطور حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم سعيا من أجل راحة البشرية وتلاشي المسافات وتواصل المجتمعات ..

ورغم كل الكوارث الطبيعية والحروب العظمى الطاحنة والأزمات الكبرى .. استمر أولئك النخبة من المبدعين في تقديم كل ما يمكنهم لمواصلة مشاوير من سبقوهم ..

وفي رقعة الأرض هذه التي نتكافل معها في حمل همومنا اليومية، والتي نسميها وطنا، ونستميت في الدفاع عنها، حيث غدت خطوط تضاريسها هي شرايينا، وهي الفؤاد النابض لضخ الوئام والمودة لكل كائن يستنشق جزيئات هوائها المعلق كأسقف المحطات المزدحمة بالمسافرين ..

على هذه الأرض المعطاءة بدأت تباشير الخير تلوح في الأفق .. وأنكب عدد من الفنانين التشكيليين لتكثيف جهودهم وإبداعاتهم لإنتاج فيض من الأعمال التي انطوت في عدد من المعارض الفنية المتتالية ، التي تم اقامتها مؤخرا في عدد من المحافظات ..

وترجمت هذه المعارض الفنية فعلا ان الفنانين التشكيليين هم المرآة الحقيقية لعكس معاناة الناس في ظل هذه الظروف العصيبة التي نمر بها . ليس ذلك فحسب بل أنهم القادرون أيضا على إعادة البسمة لشفاة كل المهتمين وبقية شرائح المجتمع

وهاهم فنانينا يعاودون الهمس لنا بأنهم لازالوا كجزء من كيان الناس بل وجزء مهم لا يمكن مواصلة السير بدونه ، باعتباره (ترمومتر المجتمع) الذي من خلاله نعرف كم ارتفعت درجة حرارة المعاناة الحياتية أو تدنت ، بل وحتى درجة الصقيع التي تجمد كل فنان من فنانونا ليتوارى هنا أو هناك حتى تعاود الشمس غزل خيوط أشعتها لإذابة ذلك الجليد لتدب الحياة من جديد لمزاولة نشاطنا الإنساني ويعاود الجميع الإسهام في رسم لوحة الغد الجميل الذي نصبو إليه ..